لفلسطين وشعبها والاقطار العربية ونهضاتها بأكثر مما تجنيه اسرائيل من هذا الحقل . لكن نكسة المقاومة فلت في عضد هؤلاء الذين يسندون الثورة الفلسطينية ، سواء منهم الطلبة اليساريون ام المثقفون المنتمون للجنة فلسطين الهولندية ام رجال البرلمان اليساريون ام المثقفون العاملون في محطات التلفزيون . لا بسبب عدم انتصار المقاومة في معركتها ضد الرجعية المحلية ولكن بسبب هذه الانقسامات التي ما زالت تعشش في جسم المقاومة. ففي راي هؤلاء جميعا ان هجمة ايلول على المقاومة كانت سببا كافيا لبدء المقاومة العمل من موضع الإتحاد والتضامن والجهد المشترك . يضاف الى ذلك أن الثورة الفلسطينية كان ينقصها صوت عال في الغرب ، منذ ايلول ، يدافع عنها ويخفف من أثر الدسائس عليها . غير أن ما حدث كان على عكس ذلك تماما . فان الحرب النفسية الشرسة التي شنتها الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية على المقاومة ، تركت جراحا كبيرة في ضمائر انصارها في الغرب ، خاصة وانهم لم يجدوا من الثورة نفسها سعيا او جهدا لتبديد هذا كله بشرح الحقائق وابقاء شعلة الامل متوهجة في النفوس . ثم أن الصهيونية التي تعمل بدون اي وازع من حق او ضمير ، ما كانت لتترك الامر عند ذلك الحد . لقد وجدت في نكسة المقاومة فرصة لتمريغ سمعتها بكل ما تملكه من قدرات على المخادعة والمناورة . فاعدت الريبورتاجات والمقالات عن المصاعب التي تلقاها المقاومة في لبنان حيث رفض « الشعب » وجودها فوق ارضه ، الامر الذي يبرر لاسرائيل ايضا ان تقوم بغزوات الفتح والاذلال في جنوب لبنان بأسم تطهير الارض هناك من المقاومين بسبب اعتداءاتهم على«الابرياء» الاسرائيليين .

وأغلب الظن ، ان هذا الوضع السائد في هولندا حاليا ، سائد أيضا في معظم اقطار غرب اوروبا . ومع ذلك ظللنا نلمح بوادر كثيرة تشير الى ان الصهيونية لم تفلح في كل ما سعت اليه في السنة الاخيرة من الضحك على كل العقول . فان ثاني اكبر صحيفة يومية في هولندا، وهي«الفولكسكرانت» الكاثوليكية التقدمية ، صدرت في ثالث يوم من أيام الاعتداء الاسرائيلي الاخير على لبنان ، تصدر صفحتها الاولى بهذا العنوان « اسرائيل تحضر لغزوة جديدة على لبنان » . وكان العنوان ملفتا للنظر فعلا ، فان المرء في الغرب يحتاج الى جراة كبيرة لكي يلصق صفة الغزو باسرائيل . وحدث بعد ذلك وعلى مدى ثلاثة اسابيع ، ان اعدت الصهيونية ونفذت في مكان ما من اوروبا الغربية اضخم مشاهد الابتزاز الفكري والسياسي باستغلال العاطفة الانسانية بدون رحمة اتاح لها فرصة اخرى للتذكير بماضي اليهود . اذ ذكرت حكومة هولندا المؤلفة حاليا من احزاب يمينية تتمتع باغلبية ضئيلة جدا في الاصوات ، انها تنظر في امر اطلاق سراح ثلاثة مساجين المان تتراوح اعمارهم بين الستين والسبعين ، حكمت عليهم المحاكم الهولندية بعد تحرير هولندا من الاحتلال النازي بالسجن مدى الحياة ، بتهمة قتل الاف الهولنديين من رجال المقاومة واليهود .والهولنديون يعتبرون هؤلاء الثلاثة مجرمي حرب . ومن الطبيعي ان تثور احزاب اليسار ، مثل حزب العمال والحزب الشيوعي وحزب الديموقراطية ٦٦ وحزب المسالمين ، على الحكومة ، لان هذه الاحزاب هي التي نظمت المقاومة في سني الاحتلال وهي التي فقدت ١٢ الفا من خيرة ابنائها . لكن الذي استغربه الهولنديون ، تلك الضجة العارمة التي صدرت عن الطائفة اليهودية في هولندا ، متذرعة بالحجة القديمة التي فحواها ان اليهود من دون أهل الارض جميعا هم فقط ضحايا النازية . هنا بدت الطائفة اليهودية التي لا تزيد عن ٣٥ الفا ، كأنها كيان منفصل عن الشعب الهولندي . لقد نظم افرادها المظاهرات وتجمعوا امام البرلمان ونصب التحرير ، واقاموا الصلوات الدينية على قوارع الطرق وولولوا أمام البرلمان وعلى صفحات الصحف وارسلوا مئات رسائل التهديد الى السياسيين ونواب البرلمان المنتمين للائتلاف الحكومي . كل ذلك بأسلوب مناف تماما لاخلاق الهولنديين واسلوبهم الهادىء في معالجة القضايا السياسية المهمة . اذ جندوا نساءهم واطفالهم في مظاهرات صاخبة تنادي من خلال البكاء والعويل .. « ماذا تريدون ان تصنعوا بنا من جديد » . كل هذا بينما هم الطائفة المدللة في البلد وبينما اغنياؤهم يسيطرون على جزء كبير من مقادير البلد الاقتصادية وبينما المجال التجاري في العاصمة امستردام كله او معظمه خاضع لهم. لقد كشروا عن انيابهم بأسلوب لا يعرفه اهل البلد ، فقط لان الحكومة فكرت في اطلاق سراح ثلاثة مساجين ، لاسباب صحية وانسانية ، بعد